أنا مع أسامة

صُلْ مُدبِراً يا شاعرَ الشعراءِ *** بعض الكلامِ مَطيّة الضُعفاءِ

صُلْ مدبِراً كم صَالَ قبلَكَ مُدّعٍ *** ليلاً وساقَ الخيلَ في البيداء

كَم سَطَّر الشعراءُ و الأدباءُ *** و المتعرِّضُونَ لهالةِ الأضواءِ

كَم أرعَدوا كم أزبَدوا كم زَايَدوا *** حتى شكَونَا كثرةَ البُسلاءِ

القارعينَ طبولهُم في ساحةٍ *** أجرَوْا بها قبلَ الدموعِ دمائي

فإذا بنا نصَحُوا و حولَ رقابَنا *** حبلٌ تُجاذبهُ يدُ الأعداء

و إذا بنا بعدَ انتهاءِ هتَافِهم *** مَوتَى نسيرُ بموكبِ الأحياءِ

ما قيمةُ الكلماتِ في عصرِ الدمَا *** عصرِ انتزاعِ الحقِ بالأشلاءِ

ما قيمةُ الكلماتِ إن لم تنتفض *** غَضْبًا و تكسر حاجزَ الإلقاءِ؟

أمِنَ المروءةِ أن تُداسَ كرامتي *** و أنا أصولُ بخطبةِ عصماء؟

أمن الرجولةِ أن تُهان عقيدَتي *** و أنا أندّدُ من وراءِ خبائي؟

أمنَ العقيدةِ أن تُكبل أمةٌ *** ويضيعُ منها موطنُ الإسراءِ؟

ويصولُ طفلٌ بالحجارةِ بينما *** ترسانَتي يُرمى بِها أبنائي!

فليصمُتِ المتكلمُون تفيقهاً *** في عصرِ فعلِ القبضةِ العصماءِ

وليستحِ المتفرّجُون و خندقُ *** الإسلامِ أضحى موطئَ الخُبثاءِ

ما عادَ فِي أفْقِ الصراع غَمامةٌ *** تُخفِي صفاتِ الليلةِ الليلاء

فالشمسُ تسبحُ فِي فضاءِ خلفَها *** تَجري دياجي الفتنةِ الظلماء

فاعكِس ضياءَ الشمسِ إن لم تستطع *** أن تستغل مدارِجَ العلياءِ

إن الحياة مواقفٌ تسمو بِها *** أو تَنحني و العارُ للجبناءِ

فغدا ستُحكى قصةٌ أبطالُها *** إنجازهم يُغني عن الإطراءِ

صالوا على قرآنهم و تمكنوا *** من أسرِ أهلِ الكهف والإسراءِ

و تقاسموا الأنفالَ إرثَ كلالةِ *** فتظلّمت لله آيُ نساءِ

ثمَ استدارت خيلُهم لتطهّرَ *** الأوطانَ من إطلالةِ الشرفاء

و تنعَّمُوا بعد الفتوحِ بفتحِهِم *** حصنَ امتهانَ دعارةِ و بغاءِ

و غدا ستحكى قصةٌ أبطالُها *** ذادوا عن الجولانِ عن سيناء

ذادوا عن الأعراضِ حتى أعلنَت *** ساحاتُنا عن كثرة اللقطاء

صانوا عفاف القدسِ لما استنجدَت *** بجنودِها من خِسة الغرباء

يا للفضيحةِ أن نبوءَ بعارِها *** و نبررَ التفريطَ بالعملاءِ

فغدا سيُحكى أن شعباً مسلماً *** ساسته جهراً حفنة الأجَراءِ

و استخدموهُ مطيّة كي يضربوا * عزمَ اليد الشمّاء بالشّلاءِ**

و غدا سيُحكى أن أرضاً أرسلت * للكون هَدْيَ عقيدةٍ سمحاءِ**

منها يدُ العدوان أضحَت صارماً * يجتثُّ راية عزتي و إبائي**

أنا لا ألومُ القاتلينَ لأننا * سلفاً فَرشنا الدرب بالحناء**

لا زال جُحر الغرب يلدغُ أمةً * مَدّت إليهِ أكفها بغباءِ**

إن جاز إعلانُ البراءةِ منكمُ * يا إمعاتِ أنا من البُرَءاءِ**

أنا ضدُ أمريكا و لو جعلت لنا * هذي الحياةَ كجنةٍ فيحاء**

أنا ضدُ أمريكا و لو أفتَى لها * مُفتٍ بجوفِ الكعبةِ الغرّاءِ**

أنا معْ أسامةَ حيث آل مآله * ما دامَ يحملُ في الثغورِ لوائي**

أنا معْ أسامةَ إن أصاب برأيهِ * أو شابهُ خطأٌ من الأخطاء**

أنا معْ أسامةَ نال نصراً عاجلا * أو حاز منزلةً مع الشهداء**

محمد سعيد الجميلي

الفلوجة

تشرين الأول 2001